الباب الأول
تجديد الدِّين

ويشتمل على :

الفصل الأول: إنْ أريد إلَّا الإصلاح ما استطعت.

الفصل الثاني: البدعة.

الفصل الثالث: بين التجديد والتطوير.

الفصل الرابع: الاجتهاد والاستحسان.

الفصـل الخامس: الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، والنصيحة.

الفصل الأول

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾

تجديد الدِّين :

جُملة تحملُ في طيَّاتِها معانيَ مُتضاربة، وفي عقول بعض الناس معانيَ أخرىٰ، كلٌّ يترجِمها ويُفَسِّرها حسب عقله وهواه.

فهل الدِّين فعلًا يحتاج إلى تجديدٍ وتطوير؟

والموضوع ذو أهمية كبرىٰ، وذوحساسية لدرجة كبيرة جدًّا، نظرًا لاختلاف المفاهيم، وإعجاب المرء بنفسه واعتزازه برأيه، وكثرة الجدل بين الفِرَقِ والجماعات وأصحاب الأهواء والبِدَع، وغياب جُملة مِنَ العلماء.

❁ ❁ ❁

• والإصلاح دعوةُ الأنبياء، وهو نَبْعُ إرادتهم، وله يُسخِّرون كلَّ طاقاتهم، وهو أمل الأمَّة المسلمة، والطريق إلىٰ نهضتها.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود].

فقد دعا شُعيب عليه السلام قومه إلى التوحيد، ثم أمرهم بالوفاء والعدل في المكيال والميزانِ، وعدم ظُلم الناس، وخطورة الإفساد في الأرضِ.

كما أَمَرَهم بالتغيير والإصلاح مُبيِّنًا لهم أنَّ البقاء على إرضاء الله تعالى خيرٌ للمؤمن، ثم بيَّنَ أنَّ الغاية والهدف مِنْ وراء دعوته وجرَّاء نصائحه هو الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

ونَخْرُج مِنْ هذه الآيات بحقيقة خالدة ساطعة، وهي:

(أنه لا يوجد إصلاح بعيدٌ عن رسالةِ الأنبياء، وأنَّ منهجهم ورسالتهم هي الإصلاح على وجه الحقيقة؛ لأنَّ فيه دوامَ الخيرِ والمنفعة، وأي إصلاح بعيد عن ذلك يُقال فيه: (بُعْدًا)، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [هود]؛ ولأنه لم يبقَ للناسِ اليوم صِلة صحيحة بالأنبياء والرُّسُل إلَّا عن طريق خاتم الأنبياء والرُّسُل سيدنا محمد ﷺ بما جاء به مِنْ قرآن وسُنَّة؛ لأنَّ غيره شابَهُ التَّحريف والتَّبديل.

فلا إصلاحَ بعيدٌ عن الإسلام، وإنْ تَجمَّل القائلون بغير ذلك).

❁ ❁ ❁

معنى التجديد:

• الدِّين مرتبط بالإنسان وفِطرته منذ أنْ خلق الله تعالى السماوات والأرض، وعرض عليهن الأمانة فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وأَشْفَقْنَ منها، وخلق الله ﷻ آدم عليه السلام، وأخذ البيان والميثاق عليه وعلى الذريَّة، وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وعرض عليهم الأمانة فقبلوها، وجعلهم خلفاء في الأرض، ووصفهم منذ بدء الخلق: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب].

وتعجَّب مِنْ وصف الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة].

❁ ❁ ❁

• وأكَّد عِلْمه بتعليم آدم عليه السلام، فكان العِلْمُ، وكانت المعرفةُ، وهما أولُ صفتين محمودتين في الإنسان مقابلَ صفتين مذمومتين هما: الظلمُ والجهالة مِنْ جهة، والحقد والكِبر مِنْ جهة أخرى، وكلّفه الله تعالى بما هو أوسع وأكبر مما كلَّف به ملائكته، فجعله خليفة في الأرض، وخَلَقَه لعبادتِهِ، وحمَّله الأمانة التي اختارها لهم، واختاروها هم لأنفسهم.

• فهذه ثلاث وظائف للإنسان: الخلافة في الأرض، وحمل الأمانة، والعبادة.

• وأول الصفات: العلم والمعرفة، وزاده ثالثة مهمَّة: وهي التجربة العملية؛ وحذَّره مِنْ طبيعة خلقه فبيَّن له مساوءها مِنَ الحرصِ والكبرِ.

ومثال الحرص: أكل آدم عليه السلام مِنَ الشجرة.

والكِبْر: عدم سُجود إبليس - نعوذُ بالله منه - مع الملائكة، وخروجه بسبب ذلك مِنَ الجنَّة.

وأيَّده بضدَّين: **الأول**: **الرُّسُل**، وأنزل معهم الكُتُب ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه].

والثاني: **الشياطين**: ليميِّز بهم أولياءه مِنْ أعدائه، ويُمحِّصهم ليعلم الذين أحبُّوه فجاهدوا فيه وتعلَّقوا به فحصَّنهم ونصرهم.

• وجماع ذلك كله في قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم].

فأصبح الدِّين فِطْرةَ الإنسانِ الأولِ والآخرِ والوسطِ؛ ولأنَّ هذه الفِطْرة مجبولٌ عليها الإنسانُ، فكان سَعْيَهُ الحثيثَ للدِّين وبحثَه عنه، وجاءت الشياطين لتجتالهم عن هذه الفِطْرة، ومِنْ هنا بدأ الصراع بين الحقِّ والباطل منذ آدم عليه السلام إلى قيام الساعة.

❁ ❁ ❁

• وأرسل الله الرُّسُل يستنقِذُ الناسَ بهم مِنَ الضلال، ويحميهم مِنَ الغوايةِ، ويرشدهم إلى ما ينفعهم، فلما خالفوا الرُّسُل، وقع الخلاف وظهر، ومثال ذلك أول ما وقع مِنَ المعاصي والمخالفات فكان الحسد الذي وقع بين ابني آدم ثم كان القتل، وتلك المعاصي الثلاث (الحسد، وسوء استخدام العقل، والقتل) كانت بسبب مخالفة تعاليم آدم عليه السلام.

ثلاث معاصٍ أعقبها غضبُ الله عز وجل، ولعنته وتحميله مسئولية كل نفسٍ تُقْتَل بغير حق، كانت نتيجة لعدمِ الرِّضا بقضاء الله عز وجل وتعاليمه على يد رسوله الأول (آدم عليه السلام).

وبَعَثَ الله تعالى آدم عليه السلام أول خلقه مِنَ البشر نبيًّا ومُعلِّمًا ومُربِّيًا، وقاضيًا، وحَكمًا ومُرشدًا.

فجسَّم معاني النُّبوَّة على أرض الواقع، وحقَّق أهدافها، وقام بوظائفها كما يجب، فما جمعه الله تعالى في آدم عليه السلام مِنْ هذه المعاني، صار يُجسِّد معنى الدِّين على حقيقته.

❁ ❁ ❁

• والدِّين في اللُّغَةِ: بمعنى النظام، وما يُدان به الإنسان ويُلزِم نفسه به، ويلتزم به طريقة له في الحياة، ومنهاجًا يسير عليه، ويحاسب نفسه به.

وهو في الشَّرع: يأتي على معان عِدَّة: منها الإسلام الذى أرسل الله به الرُّسُل، والكتاب الذي أُنزل عليهم، والتعاليم التي جاءوا بها.

• **والتجديد**: مِنْ طبيعة النَّفس البشريَّة، وهي تحبُّه وتميل دائمًا إليه.

ومِنْ معانيه: التغيير، والتحسين، والتطوير، والتعديل، والتحوير، والإبداع، والانطلاق نحو الأعلى والتطلُّع إلى الأفضل والرُّقيِّ.

وقد يكون بمعنى **التذكير**: قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات]، أو **الإحياء للقلوب الميتة**: قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ويكون بمعنى **المحافظة والمواظبة**: كما في الحديث: **{ خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، فَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ }**(١).

ويكون بمعنى **إقامة الدِّين**: قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

ويكون بمعنى **طريقة العرض الجيدة والمقبولة والمناسبة**، قال عليٌّ ﷺ: «**حدِّثُوا النَّاسَ بما يعلَمُون أَتُحبُّون أَنْ يُكذَّبَ اللهُ ورسولُه؟!**»(٢).

ويكون بمعنى **الحكمة**: قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ويكون بمعنى **الإحسان**: ففي الحديث: **{ إِنَّ اللهَ تعالى كَتَبَ الإِحسَانَ عَلَى كُلِّ**

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٢٢٧٠٤)، واللفظ له، وأبو داود، ك: «الصلاة» ب: «في المحافظة على وقت الصلاة» ح: «٤٢٥»، وصحَّحه الألباني. مِنْ حديث عبادة بن الصامت ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري تعليقًا، ك: «العلم» ب: «مَنْ خَصَّ بالعلم قومًا دون قوم كراهية أَلَّا يفهموا».

شَيءٍ؛ فَإِذا قَتلتُم فَأحسِنُوا القِتْلةَ، وإِذَا ذَبحتُم فأحسِنُوا الذِّبحَةَ }[١].

• ولا يكون بمعنىٰ **الاختراع**: فليس في الدِّين مجال للاختراع أو الإضافة أو الحذف.

والإبداع والاختراع في أمور الدنيا شيءٌ محمودٌ ومقبول، ومطلوب في طريقة عرض الدِّين علىٰ الناس.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم، ك: «الصيد والذبائح» ب: «الأمر بإحسان الذبح» ح: (٣٦١٥).

وقفة

الأنبياء روَّاد البشريَّة في تقدُّمها المعنويّ والماديّ: فَهُمْ أئمَّة الهدى، وروَّاد البشريَّة، وأساتذة لها، والقرآن والسُّنَّة هما المفسران لكتاب العالَم، ومفتاح حقائق الحادثات، وهما لسانُ الغيب في عالمَ الشهادة، وخريطة العالم الأخروي، وهما المرشد الهادي إلى ما خُلِقَ له البشر مِنْ: العبوديَّة والدعاء، العقيدة والعبادة، المعاملة والشريعة، الأمر والنهي، الدعوة والجهاد، الذكر والفكر، العلم والعمل.

❁ ❁ ❁

يقول الطبيب الفرنسي «**موريس بوكاي**» في كتابه (**القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**): «إنَّ القرآن الكريم لا يحتوي على أية مَقُولة قابلة للنقدِ مِنْ وجهةِ نظر العلم في العصر الحديث».

❁ ❁ ❁

- إن القُرآن والسُّنَّة كالماء فيه حياة لكل مَنْ نهل منهما.
- والفكر في ضوء منهج الأنبياء والمرسلين نور يُذيب الغفلة الباردة.
- والدِّقة في ضوء تقوى الله ﷻ نارٌ تحرق الأوهام المُظلمة اليابسة الكاذبة.
- والعلمُ عندما يَسْمو مع الإيمان بالله تعالىٰ يكتسب صاحبُه قيمةً تجعله لائقًا بجنة ربِّ العالمين.
- والإيمانُ بالله تعالى قوةٌ يستطيع الإنسانُ بها أنْ يتحدَّى الكائنات والمحيط مِنْ حوله، ويتخطَّى الحواجز والعقبات ويتخلَّص مِنْ ضيق الحوادث.
- والكفرُ أثقالٌ تجذب المرء إلى أسفل سافلين، والكافرُ أسير العلم المادي؛ لذلك فهو فقير وعاجز أمام تهافت البلايا وتسلط الأحزان والهموم.

❁ ❁ ❁